الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قولهُ في يوسف حجّار نصرالله دلّال الحلبي وكان استغنى بعد فقر فترفّع:

المرء يُذكر بالاعمال لا المال ... أحسِنْ بغيرها عن كسب ريبال
ليس الثراء بمُجدي الناثليهِ ثنا ... ان كان ما جمعوهُ سُحْتَ اوبال
وهل سمت بذي كبرٍ وذي صلف ... برق المعالي بطول الفيل والقال
قد ظنَّ يوسف حجّار بخرّتهِ ... انَّ الجبل هزّ عطفيهِ كمكسال
فجاء يخطر لا يلوي على احدٍ ... يتيهُ عجباً بادبارٍ واقبال
الله اكبرُ هذا حالُ ذي شططٍ ... نال المنى بعد اقتار واقلال
ان ساعدتك الليالي كن على حذرٍ ... فما تدوم على لون ولا حال
هلّا تذكرتَ ايّاماً سلفنَ وقد ... مضت مخدمة نصرالله دلّال

ومنها:

ايا هبنّقة الفيس الذي اشتهرت ... اخبارهُ سُمِّذ بجدٍّ ناعم البال
قد استرحت من الدنيا ألرسين ورا ... عي الضان يحكيك في جهلٍ واشالِ
لا تأسفنَّ على ما فات عن عرضٍ ... فالنوك داء ولكن غير قتّال
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو اخنٍ ... لكنّما انت لا تُعزَى الى آلِ

(القس انطون بولاد) وممّن توفّاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ. ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من اسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك ثمَّ ترهّب في دير المخلص قرب صيدا سنة ١٨١٥ ثمَّ رقّاهُ الى رتبة الكهنوت السيّد باسيليوس خليل اسقف صيدا سنة ١٨٢٢ وقد فُوّضت اليهِ في رهبانيّتهِ عدّة وظائف أعرب فيها عن همّة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمّر

ابنيةً جديدة في دير المخلص ودبَّر دروس طلبة رهبانيَّتـه وعلّمهم اللاهوت مدَّةً. ثم جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسولي فيلاردل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الاشغال في دير المخلص وانقطع الى الفرائض النسكيَّة الى السنة ١٨٦٠ وفيها انتقل الى بيروت من جرَّاء حوادث تلك السنة فسكنها الى عام وفاتـه في ١ ايلول سنة ١٨٧١. وكان القس انطون مولعاً بالآداب العربيَّة ولاسيَّما التاريخ وقد ابقى من آثار اجتهادهِ كتابهُ راشد سوريًا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ ضمَّنهُ عدداً وافراً من المعلومات والافادات اقتطف بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي ورسالـة الحاتمي في ما اخذهُ المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعرهِ مع عدَّة فوائد في التاريخ والمصنَّفات القديمة. ومن آثار القس انطون بولاد خلاصة تاريخ البطركيَّة الانطاكيَّة واتحاد ابنائهـا مع الكنيسة الرومانيَّة اقترحهُ عليـهِ الاب غَغرين (Gagarin) اليسوعي والامير الروسي المرتدّ الى الكثلكة. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة. وفيها ايضاً للقس المذكور ملحق ذيَّل بهِ كتاب التختيكون للقسّ يوحنَّا العجيمي واودعهُ تاريخ طائفتهِ من السنة ١٧٥٦ الى زمانهِ مع خلاصة اخبار الرهبانيَّة المخلصيـة. ولهُ كتابات اخرى ورسائل متفرّقة

(الخوري جرجس عيسى) وعاصر القس بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى الكفاف الذي اثبت المشرق (٩ : ٤٩٤ ، ٥٤١) ترجمتـهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلّقة زحلة وانضوى الى الرهبانيَّة الحنانيَّة في الشوير سنة ١٨١٥ ثمَّ تلقَّى العلوم الدينيَّة وانس في نفسهِ ميلاً الى الاداب العربيَّة فتخرَّج فيهـا على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدَّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعي. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصَّ منها بعد عودتهِ الى سوريَّة قسماً لبناء المدرسة البطركيَّة. ولمَّا فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيَّة والادبيَّة احسن قيام ودبَّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال:

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي ابان ابتداها وابتنى اكدُ والقمرا

وفاسى جا كلّ الصعاب مجاهـدًا وجمّلها علمًا وقدرًا كذا ذكرا

ثمّ عاد الخوري جرجس الى دير مار يوحنّا الصابغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقىً حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر. فمات مأسوفًا عليهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجي بدالّيتهِ التي اوّلها (المشرق ٩: ٤٩٩):

سقاكِ من الحيا صوبُ الغمـادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ النوادي

وكان الخوري جرجس عيسى عسّاف شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلّة المشرق (٩: ٥٤١—٥٥١) ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجيّ:

اذا عُرضت مسائلنا لديهِ تراهُ لحلّها سألًا تصدّى
فيوضح رمزها لفظًا ومعنًى ويكشف سرّها قربًا وبُعدا
لهُ في مجلس العلماء رأيٌ تجاوز في المهابة منهُ حدًّا
اذا اختلف النحاة بحكم امرٍ وقدّم رأيهُ فيهِ تبدّى
وان افتى بخطّ او لسانٍ ففتواهُ الصحيحة لن تُردّا

ولهُ مؤرّخًا وفاة السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥:

مكسيموس المفضال بطركنا الذي كان الامين لشعب مولاهُ الملي
لمّا ارتقى دار الخلود ممجّدًا لاقتهُ اجواق الملاء بمحفلِ
وهناك من فرحٍ مؤرخهُ تلا احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيّان طبعهما سنة ١٨٧٢ في المطبعة الاديبيّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والاخر «كتاب صلوات خشوعيّة لنظم الخلوة الروحيّة».

وقد اشتهر في هذه الحقبة من الدهر غير هؤلاء ممّن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. امّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا.

فمنهم (المعلّم سعد ابن منصور العضيمي) لهُ ديوان طُبع في بيروت في المطبعة اللبنانيّة سنة ١٨٧٢ دعاهُ القمر المشرق في بلاد المشرق وضمّنهُ قصائد متعدّدة في وجوه بلادنا واعيانها كالولاة والامراء وذوي الرتب الدينيّة. ولم نقف على شيء من اخبارهِ. امّا شعرهُ فمتوسّط من ذلك قولهُ في الحضرة الخديويّة اسماعيل باشا:

يا كعبة المجد والاحسان والنعم ومعدن اللطف والاداب والحكم
انت الهمام الذي لولاك ما نطقت لسنُ الفصاحة من عُربٍ ومن عجم
فخر الزمان عظيم الشان ذو هِمَم أمست حماهُ مطايا العزم من امم
اعنيه مولاي اسمعيل من خضعت لهُ الرئاسة والآداب كالخدم
هو المُعَدُّ لريب الدهر متّصباً والمستجارُ بهِ في الاعصر الدُّهم
كالليث في كرمٍ والليث في شيمٍ والنار في علمٍ والدهر في همم

ومن نظمهِ قولهُ يهنّئ اخاهُ يوسف بمولود سمّاهُ بشارة سنة ١٨٦٩

في دار يوسف قد بدا قمر الهنا اذ حلَّ دارهْ
فاذاك اذ وافى لهُ وعليه من سعد اشارهْ
قد اشرقت انوارهُ وعلت علينا كالمنارهْ
نادى مؤرخهُ لنا تُصِر البشارةُ بالبشارهْ

ومن مراثيهِ قولهُ في خاتون قرينة حبيب الجاويش المتوفّاة سنة ١٨٧٠

لقد نعى الناسُ خاتوناً فقلتُ لهم هل أبحرُ الحسن قد غارت لآليها
ام اعترى البدرَ في التمّ الخسوف ام م الشمس المنيرة ضوى من اعاليها
من آل جاويش حسناء بها شهدت اوصافها الملا انَّ التُّقى فيها

ومنها :

هذا المصابُ لقد شبَّت لهُ اسفاً بين الجوانح نارٌ عزَّ مطفيها
لكنها الصبر درعُ المتّقين فذا ينفي المصائب في الدنيا ويبليها
لا بدَّ للمرء من يومٍ يموت بهِ وهذه الارض كلٌّ سوف يخليها
والروح في الجسم مثل الزيت في سرجٍ فان مضت قضياء الجسم تاليها

ومن حكمهِ :

تزوَّدْ للخطوب السود صبراً فانَّ الصبر ظلمتُهُ ضياء
وخذ من كل مَنْ واخاك حذراً فهذا الدهرُ ليس لهُ اخاء
ولا تأنس فمعدٌ من اناس اذا وعدوا فليس لهم وفاء

(جرجس اسحق طراد) وكذلك عُرف في تلك المدّة شاعرٌ من اسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوائب والنحلة وغيرهما. ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم ومن ابياتها قولهُ :

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهلُ ليلٌ مظلم لن يلسما
فاسعوا بكسب العلم سعياً كاملاً واللهِ يعطي كل خيرٍ من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلُ غير بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠

هي نحلةٌ من كلّ فنٍّ قد جنتْ وجلت عن التاريخ ما هو مُظلم
هبُّوا بني الاوطانِ واجنوا شهدها قد سان آنُ قطافهِ والموسمُ
وثنّى صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الاوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثى الطيّب الذكر الطران طوبيا عون سنة ١٨٧١ برثاة قال فيها:

خطبٌ جسيمٌ دهانا وا اسفي كلُّ غدا قائلاً قد ضاع مصطبري
فقدُ الهمامِ الكريمِ الحاذق الورع م الذي تردّى ثوب الفخر والطهرِ
عون الفخير حليمٌ ماجدٌ فطن شهمٌ شهيرٌ رذو قلبٍ بلا وضرِ

وقد مدح ايضاً اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة:

على أسماعيل سيّدنا سلامٌ تردّدهُ الاكابر والصغارُ
اذا ما غاب غاب العزُّ معهُ كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لذلّتهِ تخرُّ الاسدُ طوعاً كما للموت وللموت اضطرارُ
فما الاسكندريّة في حماهُ سوى روضٍ يجلّلهُ اخضرارُ
ومصر الآن في الاقطار خودٌ تسيس بملّةٍ لا تُستارُ

ومن حكمهِ قولهُ:

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ولا الذي رام يغدي الناس بديعا
ليس الذي عاش أياماً مطوّلةً بل الذي ترك الايام يدريها
بين الحيوة وكل الناس معركةٌ بالحظّ والرأس نقتبا ونقتبها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧. أمّا اخباره فقد تحفّينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منها. وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثارهِ لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم قيصر ابيلا. ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦: ٦٥٤) لم يتعرّضوا لذكر قيصر. وقد كنّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلّتنا (٧: ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقّة بين الله والخاطئ. اوّلها:

يدعوك ربُّك ايها المتمرّدُ حتّى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجب نداهُ واعتصم بجمالهِ فهو المجيرُ وغيرهُ لا يعضدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في مواد علميّة وصناعيّة وادبيّة نشرها في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص٢٢,٣٦,٥٢ الخ). ومن شعرهِ قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها:

ذر الدّهرَ فالايّام فاسخة النقد وناشرة البلوى وطاوية المهدِ
وما هذه الدنيا سوى دارِ ذلّة وفيها يجولُ المرء في الهمّ والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوف القضا بالفتك ماضية الحدّ
تخادعنا الدنيا بوعدٍ مسرّةٍ وليس سوى البأساء فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفها كما انّها تسطو على احقر العبدِ
وهيهاتَ ما الدنيا الغرورُ بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلدِ
وكلٌ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يُفدّى ولا ثروةٌ تجدي

ولهُ تقريظ في مجلّة النحلة:

ألا حبّذا القومُ الكرامُ الألى لهم على وطنٍ من خير افضالهم فضلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤبّدًا يطيبُ كما طاب الذي جنتِ النحلُ
تأكرم بمَنْ من روض افكارهم لنا جنى نحلةٍ يحلو واثمانهُ تغلو
تطيب لنا ما حوتهُ فرائد واعذبُ شيء ما يُلَذُّ بهِ العقلُ

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ اسعد باز صنّف موشّحات واغاني تقويّة منها تسبحتان في مريم العذراء شائعتان: «انتِ الشفيعَ الاكرمُ» و«يا بتول ارحمي عبيدك». ومما افادنا بهِ جناب القانوني جرجي صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلة:

يا مقدس الدين الذي بسمو على قمر العلى نورًا باشراقٍ بدا
قد زانهُ الرحمان في آياتهِ وبجودة المنّان عاد مجدّدا
طوبى لمن وافى اليهِ طالبًا من مريم البكرِ العناية والهُدى
ويقول تاريخًا بهِ مترنّمًا انت رجا القصّادِ بل سبب الفدى

ولمّا اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيّدة لتلك الكنيسة. قال اسعد باز:

تمذنتكِ يا بتولا لي ملاذًا حصينًا يُرتجى عند المخاطرْ
فارجوك العناية بي لأني انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضاً :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشهدًا لعجائب الله التي تسبي الورى
قد جاءكِ المولى المخلّص زائرًا احيا بكِ البيت الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الأوّل سنة ١٨٧٠) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة الشيخ امين الذي اتّخذهُ الامير حيدر كرئيس كتبتهِ لمّا فُوّضت اليهِ قائمقاميّة النصارى في لبنان . وقد ذكر لهُ مكاتبنا الاديب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ : ٣٩٥) آثارًا ادبيّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الاداب العربيّة وأيد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضلهِ وباعتبار معاصريهِ لهُ

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار ادبا النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انّهُ فاتنا منها اشياء كثيرة واملنا من اصحاب الفضل والهمّة ان يسدّوا الخلل او يرشدونا الى ما يعرفونهُ من الفوائد فننشرها شاكرين . وقد عدلنا عن ذكر الذين قصروا همّتهم الى تآليف دينيّة او جدليّة قليلة كالسيّد امبروسيوس عبده المتوفّى سنة ١٨٧٦ بعد تدبيرهِ مدّة لكرسيّ زحلة ونقلهِ الى القلاية الاورشليميّة وهو مؤلف كتاب كنز الرياضة الروحيّة . وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا عن الكثلكة الى الارثدكسيّة بسبب تغيير الحساب . توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير . ولهُ كتابات جدليّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقيّ

المستشرقون الاوربيّون

بقيت ازمّة الدروس الشرقيّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيّة . وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفّى تلامذتهم آثارهم الّا انّ الموت حلّ ببعضهم فرزئت بهم الاداب العربيّة

واوّل من يستحقّ ان تشقّ عليهِ الاداب جيوبها العلّامة كرسّان دي پرسڤال (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ ولد هو في ١٣ ك ١ سنة ١٧٩٥

وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلته حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير. ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغَّل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة. وكان في سياحتهِ اتقن اللغات العربيَّة العاميَّة فألَّف فيها غرماطيقًا واصلح معجم الاستاذ القبطي اليوس بُجتر فجدَّد طبعهُ. وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم. ثمَّ خصَّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألَّف في ذلك كتابًا واسعًا في ثلاث مجلَّدات لم يبلغ فيه احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثماية فرنك: وللمسيو دي برسفال تآليف أخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كلّ آداب الشرق اخصّها تراجم الموسيقيين العرب. كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٧ ك ١ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المتوفين من المستشرقين في هذه السنين لويس امالي سيديليو (A. Sedillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرَّج على ابيهِ الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقَّب آثارهُ وجعل ينقب الكاتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن علي المرّاكشي المدعو جامع المبادي والغايات في الالات الفلكيَّة ونقلهُ الى الفرنسويَّة ونشر مقالات أخرى رياضيَّة لاحمد بن محمَّد السنجاري وللامام المظفَّر الاسفزلدي وصنَّف تاريخًا للرياضيَّات عند اليونان والعرب. وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيَّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطَّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة. وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألَّفهُ وطبعهُ مرَّتين فانهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريون فنقلوهُ الى العربيَّة ظنًّا منهم انَّهُ من الآثار الفريدة. توفي المسيو سيديليو سنة ١٨٧٥

وتوفي بعد سيديليو بزمن قليل المسيو جول موهل (J. Mohl) كان هذا الماني الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كليَّة توبنغن. ولما شعر في نفسهِ ميلًا الى الدروس الشرقيَّة قصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وتفرَّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيَّة. حتى انَّ خطبهُ التي

القاها في الجمعيَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث وكان متمتعاً في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعاً بديعاً في سبعة مجلَّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويَّة وذيَّلهُ بالحواشي وعلَّم سنين طويلة اللغة الفارسيَّة في مكتب باريس الاعلى. توفيَ في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي السنة ١٨٧٧ فُجعت الآداب الشرقيَّة باحد اركانها المسيو بلن (Belin) كان قطن زمناً طويلاً بلاد الشرق وخصوصاً عاصمة المملكة العثمانيَّة حيث تعيَّن قنصلاً لدولته. وكان مع تدبيرهِ بشؤون القنصليَّة يهتمُّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنَّفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم وكان يُعنَى خصوصاً بتاريخ فصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة فصول حسنة في كل ابواب المعارف الشرقيَّة وقد ألَّف تاريخاً للطائفة اللاتينيَّة في الاستانة العليَّة

وفي السنة التاليـة (٤ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير غارسن دي تاسي (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيَّة على امامها الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيما في اللغتين الفارسيَّة والهندستانيَّة وقد توفَّرت مصنَّفاتهُ فيها. ومن آثارهِ مجموع الرموز الشرقيَّة جمعهُ من آداب العرب وغيرهم ونقلهُ الى الفرنسويَّة: ومنها كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين. وكتاب آخر في البيان والبديع. وقد نشر كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي وحشَّاهُ وترجمهُ الى الفرنسويَّة ولهُ غير ذلك

وفي هذه السنة ١٨٧٩ وقعت وفاة مستشرق آخر شهير ادَّى للآداب العربيَّة عدَّة خدم يزيد به المسيو دي سلان (G. de Slane) وجَّه الحاظهُ الى بلاد المغرب ودرس اخبار البربر فألَّف فيهم تاريخاً في ستَّة مجلَّدات ثمَّ درس ابن خلدون واتمَّ ترجمة مقدَّمته التي كان باشر بها العلَّامة دي كاترمار فطبعها في ستَّة مجلَّدات ثلاثة عربيَّة وثلاثة افرنسيَّة. ومن مآثرهِ الطيبة وصفهُ للمخطوطات العربيَّة التي تصان في مكتبة باريس العموميَّة لكنَّ الموت حال دون تتمَّة العمل فاتمَّهُ المسيو زوتنبرغ (Zotenberg)

ومن الكهنة الذين ابقوا لهم ذكرًا بدرس الشرقيات في باريس الاب غلار (Glaire) من جمعيَّة سان سولبيس ولد سنة ١٧٩٨ وبرزَ في الاداب الشرقيَّة فندبتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى تدريس اللغة العبرانيَّة في مدرستها العليا خلفاً لكاهن آخر من

جمعيّة الاب لوهير (Le Hir) الذي تخرّج عليه رينان في درس العبرانيّة وكان الاب غلار حاذقاً في تفسير الكتب المقدّسة وتولّى شرحها في مدارس دولته العموميّة وكان عارفاً باللغة العربيّة وقد وضع في اصولها كتاباً مطوّلاً في اللغة الفرنسويّة . توفيّ الخوري غلار في مدرسة اسّي (Issy) قريباً من باريس سنة ١٨٧٩

وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهن آخر من وطنهما الّا انهُ سكن المغرب واشتهر في تونس نريد بهِ الاب فرنسوا بورغاد (F. Bourgade) ولد سنة ١٨٠٦ . وبعد كهنوتهِ سنة ١٨٣٢ طلب اعمال الرسالة فرحل الى الجزائر سنة ١٨٣٨ وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهنَّ الى تونس سنة ١٨٤٠ وولّي هناك خدمة كنيسة مار لويس التي شيّدتها الحكومة الفرنسويّة . ومن مساعيهِ المشكورة انهُ انشأ مستشفى لابناء وطنهِ وفتح لهم مدارس ادارها بكل غيرة وفتح اوّل مطبعة عُرفت في تونس . وكان الاب بورغاد محبًّا للآداب العربيّة ، مطّلعاً على احوال العرب وتواريخهم . وقد وضع عدّة تآليف تنبئ بسعَة معارفهِ لآداب الاسلام منها كتابهُ المعروف بمباسرات قرطجنّة في ثلاثة اقسام طبعهُ بالفرنسويّة والعربيّة . ومنها كتاب في تاريخ تونس . ولهُ تفنيد على سيرة المسيح التي ألّفها الملحد رينان . وطبع بالعربيّة نبذًا من قصّة عنتر وقلائد العقيان لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك وقد انشأ جريدتين عربيّتين عُقاب باريس والبرجيس وكان اتّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ . توفي الاب بورغاد في ٢٠ ايّار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المبرّزين (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣ سنة بعد ان أدّى للدروس الشرقيّة خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود القديمة فانهُ ساح مرارًا في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعمًا وفكَّ كثيرًا من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيّة والفينيقيّة والاشوريّة والعربيّة . والكتب التي ألّفها في وصف العاديات التي اكتشفها او حلَّ رموزها تنيف على المئة . وبعض هذه التآليف كتب ضخمة . ولهُ ايضًا عدّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدّسة في مجلّدين وتاريخ هيرودس لكنَّهُ برزَ في علم المسكوكات القديمة

(الالمانيون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميَّة الدروس الشرقيَّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيَّة . ومنَّن استحقوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلَّامة إيڤلد (H. Ewald)ولد في غوتا سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيَّة ويعدُّهُ البروتستانت من كبار ائمَّتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علَّمهُ زمنًا طويلًا في مدارس المانية وكان تبحَّر في درس اللغات الشرقيَّة ومن مآثرهِ العربيَّة غرماطيق واسع في جزءين صنَّفهُ باللغة الالمانيَّة وقد كتب ايضًا في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيَّة المصونة في غوتا . توفي ايڤلد في ٤ ايَّار سنة ١٨٧٥

واشتهر ايضًا المانيّ آخر اسمهُ هرمان روديغر (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل روديغر سبقهُ الى درس الشرقيَّات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيَّة للاسفار المقدَّسة التاريخيَّة . وقد تبعهُ ابنهُ في درس الآداب العربيَّة وعلَّمها مدَّة في مدينة هال (Halle) ومن آثارهِ اشتغالهُ بكتاب جليل يُدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتمَّمهُ فانجزهُ العالمان ارغست موللر وهرمان روديغر . وقد كتب روديغر في بعض اللغويَّات العربيَّة عدَّة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(الروس) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربيَّة وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيويَّة احسَّت بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها فأنشأت مكتبًا خصوصيًّا للغات الشرقيَّة من جملتها اللغتان العربيَّة والفارسيَّة عهدت بتدريسها الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان ديمانج (Desmanges) وشرموا (Charmoy) صاحب التآليف الخطيرة في تاريخ المغول والاكراد . واخذ عن ديمانج تلميذهُ الروسي بوتجانوف (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعرّي وللنابغة الذبيانيّ . وفي عهدهِ كان الكسيس بولديراف (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلَّم في موسكو وترأس على كليَّتها . ومن تركتهِ العلميَّة نشرهُ لمعلَّقتي الحارث بن حلِّزة وعنترة ثمَّ منتخبات عربيَّة طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢ ولهُ فصول ومقالات شتى في منشورات بلادهِ . وكان عالمًا باللغة

الفارسيَّة ترك فيهـا آثارًا مذكورة . وعاصرهُ عالم روسي آخر يوسف سيانكوفسكي (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليترانيـة في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربيَّة وهو في مقتبل العمر ثمَّ ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درَّس اللغتين العربيَّة والتركية . وكان عالمًا باللهجات العاميَّة فكتب في ذلك عدَّة فصول مفيدة ونشر قصصًا وحكايات وبعض روايات عنتر . ولهُ مقالة حسنة في ديوان لبيد وساعد برغرين (Berggren) في تأليف دليلهِ للسيَّاح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤ . ومن مآثره انَّهُ جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووهُ عن قبـائل الهونيين (Huns) وعن اصل وطنهِ پولونية

وقد تخرَّج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم سافليـاف (P. Sawelieff) الكاتب الاوَّل لاسرار الجمعيَّـة الاثريَّة في بطرسبورج واحد خدمة الآداب الشرقيَّة في بلادهِ . ثم غريغوريافِ (W. Grigorieff) معلم التواريخ الشرقيَّة في عاصمة دولتهِ

وعُرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي باسكي (G. Pawsky) نقل الكتب المقدَّسة من العبرانيَّة الى الروسيَّة وألَّف كتابًا في اصول اللغة العبرانيَّة وكان متضلِّعًا بالعاديَّات الشرقيَّة وقد حشَّف فيها المقالات المستجادة . واشتهر مثلهُ في العبرانيَّة العالم كوسوڤتش (K. Kossowitch) الذي نقـل الى الروسيَّة غرماطيق جزنيوس (Gesenius) وحشَّاهُ وقد نشر منتخبات عبرانيَّة

وفي السنة ١٨٥٤ أُنشئ في كليَّـة بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيَّة ندعي الى تدريس العربيَّة فيها السير نثروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيَّة كتابًا يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنـا هذا . وكان يسعفهُ في درس اللغة العاميَّة الشيخ محمَّد الطنطاوي المتوفَّى سنة ١٨٧١ ولهُ في اللهجة المصريَّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولاتش برازين (F. N. Bérésine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كليَّة قازان اللغات الشرقيَّـة ثم ارسلتهُ الكليَّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدَّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمَّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم .

ثمَّ علَّم مدَّةً في كلِّية قازان اللغة التركيَّة ولهُ فيها وفي الفارسيَّة عدَّة تآليف . وكان يعرف اللغة العربيَّة ودرس خصوصاً لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها وانقطع الى تاريخ الدول الاسلاميَّة وكتب فيها كتابات اثريَّة وتاريخيَّة وجغرافيَّة وادبيَّة ولغويَّة وقد اجاد في وصف اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين . وقد تولَّى ادارة المطبوعات الشرقيَّة في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠

وقد اشبه العلامة برازين روسي آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١١٩) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضاً الى العجم واواسط اسيَّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم . توفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبى دعوة ربهِ في هذه الروحة نعني بهِ شرل ترنبرغ (C. Tornberg) فانهُ ولد سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلَّم في كلِّية اوبسالا اللغة العربيَّة . ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبّي الشرقيَّات اخصُّها تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلَّداً واضاف اليهِ ملحوظات مهمَّة . ثم تاريخ فاس المسمَّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زُرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة . وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقيَّة المصونة في مدينة اوبسالا . توفي الدكتور ترنبرغ نحو السنة ١٨٧٨ .

(له بقيَّة)

استطراد

في نقد انتقاد

لسنا ممَّن يكره الانتقاد وكثيراً ما كرَّرنا على القرَّاء الكرام التماسنا من فضلهم بان يزيدونا علماً في ما كتبناهُ عن ادباء القرن التاسع عشر ويصلحوا ما سهونا عنهُ او وقع فيهِ الخلل فشكرناهم كلَّما اجابوا الى دعوتنا

---

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ عن مستشرقي روسيَّة من احد افاضلها تربل بيروت هذه الايَّام واحد طلبة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراكتشوفسكي (I. Kraktchowski) نشكرهُ على ما افاد . وسنتمم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨٨٠